تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

خطة بايدن للإنتقال من الحرب إلى التسوية
أميركا ـ إيران: رسائل ساخنة بلا تورّط في حرب أوسع

وصل الوضع في الشرق الاوسط الى نقطة حساسة وخطرة: ايران تلعب على حافة الهاوية في سياق تصعيد الهجمات والضغوط لانهاء الوجود العسكري الاميركي في العراق وسوريا. الولايات المتحدة دخلت في سنة الانتخابات والحسابات الرئاسية. بنيامين نتنياهو يدفع في اتجاه استدراج مواجهة اميركية ـ ايرانية واطالة امد الحرب لضمان بقائه وانتظار عودة دونالد ترامب الى البيت الابيض

نحو 150 هجوما في الاشهر الثلاثة الماضية ضد القواعد الاميركية في العراق وسوريا قامت بها الفصائل والتنظيمات المدعومة من ايران، لم تسفر عن اصابات في صفوف القوات الاميركية، وكان الرد عليها محدودا ومحسوبا، ومن ضمن ما يمكن تسميته "قواعد الاشتباك". لكن ما حصل في اخر ايام كانون الثاني الماضي شكل اول خرق لهذه القواعد مع اخطر هجوم طال القوات الاميركية منذ بداية حرب غزة. فقد جرى استهداف قاعدة اميركية عند خط الحدود السورية ـ الاردنية من جهة الاردن. وقد ادى الهجوم الى سقوط 3 قتلى من الجيش الاميركي ونحو 30 جريحا تراوحت اصاباتهم بين الجروح والكدمات وارتجاجات الدماغ. وعلى عكس الهجمات السابقة التي عتمت عليها واشنطن وقللت من شأنها، بدا ان حجم الاصابات البالغ هذه المرة اكبر من ان يتم التعتيم عليه، لا بل دفع الى تبدل في الموقف والى تصعيد اميركي غير مسبوق ضد ايران. فالرئيس جو بايدن وجه اتهاما مباشرا لايران، وقال في بيان ان الهجوم من تنفيذ جماعات مسلحة متشددة مدعومة من ايران تعمل في سوريا والعراق، وردود الفعل في الكونغرس جاءت سريعة وقوية، خصوصا من الجمهوريين الذين حملوا بايدن مسؤولية سياسية في هذا الهجوم بسبب سياسة التراخي والتساهل التي اتبعها مع ايران وهجمات التنظيمات المدعومة منها في العراق وسوريا وفي البحر الاحمر، مما شجع ايران على المضي قدما في سياسة التحدي والاستفزاز.

حتى يوم الهجوم الذي استهدف قاعدة "البرج 22" الاميركية في الاردن على الحدود مع سوريا، كان الصراع بين ايران والولايات المتحدة مضبوطا ضمن قواعد اللعبة والاشتباك، وكانت ادارة ايران لهذا الصراع ادارة ناجحة مع بقاء الوضع "تحت السيطرة". اعتمدت ايران استراتيجيا طويلة الامد متمثلة في الحرب بالوكالة، وبدت راضية عن هذه الاستراتيجيا. فالجماعات المدعومة منها تقاتل اعداء ايران في المنطقة وتشكل خط دفاع عنها، وفي المقابل لا تبدي اسرائيل والولايات المتحدة اي اهتمام بالثار مباشرة من ايران التي تقود محور المقاومة او الممانعة، ويضم حماس وحزب الله والحوثيين والحشد الشعبي، يقع في قلب الاستراتيجية الكبرى التي تنتهجها ايران ضد اسرائيل والولايات المتحدة وحلفائها، وتتيح هذه الاستراتيجية للنظام الايراني ضرب خصومه من دون الاستعانة بقوات الجمهورية الاسلامية او تعريض اراضيها للخطر.

ادركت ايران ان الرد الاميركي آت لا محالة. فالولايات المتحدة ستحاول حتما تعزيز صورة ردعها في وجه ايران في المنطقة، وبايدن يتعرض لانتقادات وضغوط من خصومه الجمهوريين الذين يحضونه على توجيه ضربة قاسية الى ايران، وسط تصاعد الجدل السياسي في واشنطن حول المسؤولية عن السياسات المعتمدة مع ايران، مدفوعا بسنة انتخابية محمومة. في النتيجة، ارسل الرئيس اشارة واضحة بانه يحتاج الى "ارسال رسالة حازمة"، لكنه في المقابل لا يريد تصعيد التوتر ولا التورط في نزاع طويل وحرب اوسع.

ايران ايضا لا تريد التورط في حرب اوسع، وهي في صدد مراجعة استراتيجيتها بعدما وصلت الامور الى نقطة حساسة باتت معها ايران ومصالحها وامنها في دائرة التهديد والخطر. فقد لعبت ايران اوراقها بدقة واتقان منذ 7 اكتوبر، لكنها فعلت اقصى ما يمكن ان تفعله على صعيد ادارة الصراع، واستنفدت اوراقها في كل الجبهات، وحيث بات اي تصعيد من الان فصاعدا على اي جبهة محفوفا بالمخاطر وغير مضمون النتائج... وهذا ما يجعل ايران تنتقل من ضفة التصعيد والتوتير الى ضفة التهدئة والاحتواء، وقد اطلقت في هذا الاتجاه اشارات متلاحقة، بدءا من تغليب الديبلوماسية مع باكستان، وصولا الى الانخراط ولو عن بعد في جهود اتفاق التهدئة والتبادل في غزة، وما بين هذين الخطين المتباعدين ما حصل من "لجم" للتنظيمات الشيعية العراقية كي توقف او تعلق هجماتها ضد القوات والقواعد الاميركية. على ان المؤشر الابلغ هو القرار الذي اتخذته طهران بسحب كبار قادة وضباط الحرس الثوري من سوريا، وتقليص انشطته وحجم وجوده والاعتماد اكثر على فصائل شيعية حليفة متواجدة في سوريا. هذا الاجراء (سحب كبار ضباط الحرس الثوري) له صلة اكيدة بالضربات الاسرائيلية الاخيرة التي اغتالت جنرالات ومستشارين ايرانيين كبار في دمشق، وحيث بدا ان طهران لم تنجح في توفير الحماية لهم، او ان نظام الحماية الامني بات مخترقا على نطاق واسع. لكن هذا الاجراء له صلة اكيدة بالضربات الاميركية المتلاحقة.

هذه الخطوة تساعد على امتصاص الغضب الاميركي، وايضا تساعد في تفادي ضربة موجعة وخسارة كبيرة من شأنها ان تضطر ايران الى الرد ومزيد من التورط المباشر في الحرب. هذا ما لا تريده ايران، مؤكدة انها لا تريد الحرب ولا تسعى اليها (وان كانت لا تخشاها)، وهي حرصت رغم كل التهديدات الاميركية على عدم اصدار اي تصريحات حربية او استفزازية، وافسحت المجال امام الديبلوماسية. هذه الاصوات ارتفعت بعدما تبين ان استراتيجيا ايران بممارسة ضغوط على واشنطن لوضعها امام خيارين: اجبار اسرائيل على وقف حربها على غزة، او اعادة تقييم الدعم الاميركي لاسرائيل، هذه الاستراتيجية اصطدمت بتطورات ومفاجات غير محسوبة كان ابرزها

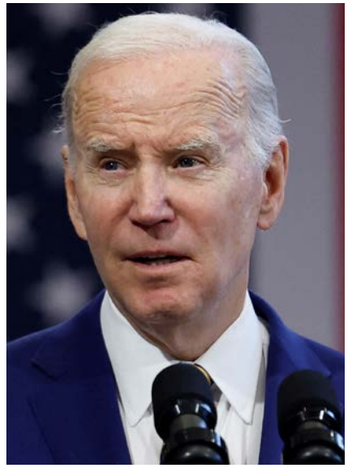

الهجوم الاخير في الاردن وتداعياته، وربما تقود الى نتيجة عكسية، هي نجاح اسرائيل في استدراج الولايات المتحدة وتوسيع الحرب.

على الرغم من كل الاستهداف الاسرائيلي المباشر لقادة الحرس الثوري في سوريا ولقيادات حليفة لايران، لم تتخذ طهران القرار بالرد العسكري المباشر على اسرائيل، رغم فداحة الخسائر العسكرية والمعنوية، ما تقوم به ايران منذ 7 اكتوبر، هو الرد بالواسطة عبر اذرعها ووكلائها في المنطقة: حزب الله في لبنان، "انصار الله" (الحوثيون) في اليمن، حماس والجهاد في الضفة الغربية، "الحشد الشعبي" في العراق وجماعة محور المقاومة في سوريا.

منذ مطلع هذا العام، ادخلت ايران تغييرا على قواعد اللعبة واضطرت الى رفع مستوى التحدي، بعدما كانت راضية عما يقوم به محور المقاومة والحلفاء. ففي مقابل تصاعد سلسلة الاستهدافات المباشرة والعمليات العدائية من جانب اسرائيل التي طالت قادة الحرس الثوري في سوريا، عمدت طهران الى التدخل المباشر وتوجيه ضرباتها صوب اهداف في العراق وسوريا وباكستان. وبدا الامر مثابة "استعراض قوة" هدفه تحذير الاميركيين والاسرائيليين وحلفائهم، وتوجيه رسالة اليهم فحواها: "لا تعبثوا مع ايران وانهوا الحرب في غزة". لكن الرد الايراني لم يقترب من اسرائيل ومن الخطوط الامامية للحرب، وبالتالي ما تفعله ايران لا يمثل تغييرا في الاستراتيجيا وانما هو تغيير في التكتيكات لجعل اميركا واسرائيل تدركان جدية وخطورة التهديد الذي يمكن ان تشكله ايران اذا استمرت الحرب في غزة.

> **الهجوم على القاعدة الاميركية في الاردن شكل نقطة تحول في موقف بايدن**

ايران المعنية مباشرة بالانتخابات والتطورات الاميركية تتأرجح خياراتها بين:

- "تهدئة اللعبة" مع واشنطن واستئناف المفاوضات السرية معها، خصوصا تلك التي تجري في مسقط، والدفع في اتجاه انهاء الخلاف على الملف النووي ورفع العقوبات عنها في ظل رئاسة بايدن الذي اعتبر وما زال ان الانسحاب الاميركي من الاتفاق النووي بقرار من ترامب كان خاطئا. وهذا المسار يعني ان موجة التصعيد الاخيرة بين ايران والولايات المتحدة ستتجه الى الانكفاء، وسيتم تفادي اي انزلاق يوسع الحرب المرفوضة من كليهما.

- خيار الاستمرار في المسار التصعيدي الراهن الذي بلغ في الاونة الاخيرة مرحلة متقدمة وخطرة. فمن جهة، ذهبت ايران بعيدا في "تشغيل" شبكاتها واذرعها الاقليمية ضد القواعد والاهداف الاميركية، وبلغت نقطة الذروة في تشجيع هجمات الحوثيين في البحر الاحمر وضرب خطوط الملاحة الدولية والاستقرار الاقتصادي العالمي. لا بل ذهبت ايران الى التدخل العسكري المباشر عبر قصف اهداف على الحدود الباكستانية، وفي كردستان العراق وفي العمق السوري. من جهة ثانية، بدات واشنطن تضيق ذرعا بالهجمات الحوثية وبالتحديات والطموحات الايرانية، وتبدي ميلا واستعدادا لتقليم اظافر طهران ولجم طموحاتها بعدما تحولت قوة اقليمية ضاربة.

تجد واشنطن نفسها معنية بوضع حد لهذا التدحرج الخطير في الشرق الاوسط، وتجنيب المنطقة الانزلاق الى حرب واوسع، وتفويت الفرصة على قوى اقليمية راغبة في الاستفادة من الحرب لتحقيق اجندتها، وانزال اسرائيل عن الشجرة العالية التي تسلقتها، وانقاذ ما يمكن انقاذه من الشعب الفلسطيني المشرف على الهلاك الجماعي في غزة، وتهدئة اللعبة في الشرق الاوسط والتفرغ للصراع الاكبر في اوكرانيا... ولا يمكن الخروج من هذا الوضع المعقد الا عبر خطة متدرجة من الحرب الى التسوية، وتهدف على المدى القريب المباشر الى وقف الحرب في غزة، وعلى المدى المتوسط والبعيد الى انهاء الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بعدما دفعت التطورات المذهلة منذ 7 اكتوبر الى اعادة التفكير الجذري في الشرق الاوسط لدى ادارة بايدن.

هذه الخطة يمكن اختصارها في البنود التالية:

1-خطة امنية سياسية لانهاء الحرب في غزة انطلاقا من مشروع هدنة لشهرين او اكثر بين اسرائيل وحماس. وخلال هذه الفترة يجري اطلاق الرهائن (نحو 100) وعدد معقول من سجناء فلسطينيين في سجون اسرائيل. بعد ذلك تطرح مسألة مغادرة قادة حماس قطاع غزة الى ملاذ امن وبلد مستعد لاستقبالهم، في سيناريو شبيه بخروج ياسر عرفات من لبنان. تلحظ الخطة الاميركية منع حماس من حكم غزة ومنعها من اي نشاط عسكري او سياسي داخل القطاع الذي يسلم في مرحلة انتقالية الى ادارة عربية دولة مشتركة، ولاحقا تأتي، بعد المرحلة الانتقالية، مرحلة اعلان دولة فلسطين التي تضم اراضي الضفة والقطاع. طبعا هذه الخطة في مراحلها الاولى تصطدم بعقبات عملية ابرزها ما يتعلق بشرط حماس تضمين اي اتفاق اشارة واضحة ومباشرة الى وقف اطلاق نار شامل وتوفير ضمانات تؤكد التزام اسرائيل وقف الحرب في نهاية اي عملية لتبادل الاسرى ◄

◄ والرهائن، اضافة الى التأكيد على ان مستقبل القطاع ومن يحكمه هو شان فلسطيني. وفي المقابل، تخطط اسرائيل لاقامة منطقة امنية عازلة ولتفكيك حماس في غزة. وهناك احتمال وتوقع بان نتنياهو يدفع في اتجاه تشجيع حماس على التشدد في مواقفها ونسف الصفقة من طرفها وليس من طرفه، بما يؤدي الى تحملها مسؤولية الفشل والى كسب شرعية مواصلة القتال.

2- وضع نتنياهو امام خيارين: اما ان يغير حكومته، واما ان يسقط هو مع حكومته. يتصرف الاميركيون من خلفية ان الكرة حتى الان في ملعبه الذي عليه هو اما ان يقرر الموافقة على الخطة الاميركية لتمرير صفقة اطلاق الرهائن ولوقف الحرب والتدهور الامني في الشرق الاوسط كله. واما ان يبقي على حكومة اليمين المتطرف ويدخل في صدام مع واشنطن ومع المعارضة والرأي العام في اسرائيل، ويفرض عليه التوجه الى انتخابات مبكرة. لا يحبذ الاميركيون اسقاط نتنياهو في هذه المرحلة وابداله بغانتس، وانما يفضلون بقاءه بغض النظر عن اشكالياته وصداقيته، لانه الوحيد القادر على اقناع الاسرائيليين بالخطة، والوحيد القادر على محاربتها واسقاطها. ويميل الاميركيون الى احداث تغيير في حكومة نتنياهو باخراج حلفائه الوزراء المتطرفين (بن غفير وسموتريتش) الذين يريدون توسيع الحرب واطالة امدها لبقائهم في السلطة، وباقناع خصومه (غانتس ولابيد وليبرمان) بالدخول الى الحكومة في مقابل تعهد من نتنياهو بعدم رفض مشروع "حل الدولتين".

3- استراتيجيا جديدة لادارة بايدن تتناسب مع خطورة وتعقيدات المرحلة والوضع الجديد في الشرق الاوسط، تقوم على ثلاثة مسارات:

- موقف قوي وحازم تجاه ايران، بما في ذلك ضربات عسكرية قوية ضد وكلاء ايران في المنطقة.
- مبادرة ديبلوماسية اميركية غير مسبوقة لتعزيز دولة فلسطينية منزوعة السلاح في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي ستكون قائمة فقط عندما يقوم الفلسطينيون بتطوير مجموعة من المؤسسات المحددة والقابلة للتصديق والقدرات الامنية لضمان ان هذه الدولة قابلة للعيش والا تشكل ابدا تهديدا لاسرائيل.
- تحالف امني اميركي واسع النطاق مع السعودية، والذي سينطوي ايضا على تطبيع العلاقات السعودية مع اسرائيل، اذا كانت الحكومة الاسرائيلية مستعدة لاعتماد عملية ديبلوماسية تؤدي الى دولة فلسطينية خالية من السلاح تقودها سلطة فلسطينية مخولة.

هذه الاستراتيجية المترابطة المسارات وتسمى بـ"عقيدة بايدن"، ستكون اكبر اعادة نظر استراتيجية في المنطقة منذ كمب ديفيد العام 1979.

العالم في العام 2024 اسير حربين: حرب اوكرانيا التي فقدت بريقها وتحولت حربا تقليدية ووصلت الى طريق مسدود، وحرب غزة التي خلطت اوراق المنطقة والعالم وتوزعت على جبهات وحروب فرعية في جنوب لبنان وفي البحر الاحمر، ووصلت شظاياها الى سوريا والعراق... يمكن اضافة "حرب ثالثة" بدات تدخل في الحسابات وفي صياغة السياسات الدولية، وهي حرب السباق الى البيت الابيض بين الرئيس الحالي جو بايدن والرئيس الاميركي السابق دونالد ترامب، في تكرار للمشهد الانتخابي عام 2020 ولكن في ظل ظروف اميركية داخلية مختلفة، تجعل ان ترامب بدأ بقوة وزخم في طريقه الى حسم معركته باكرا داخل المعسكر الجمهوري، وفي تعزيز حظوظه بالعودة الى البيت الابيض.

الانتخابات الرئاسية الاميركية تتسبب في ادخال الشرق الاوسط في حال من المراوحة السلبية، مع دخول ادارة بايدن في "الغيبوبة الانتخابية"، لتصبح في وضع العاجز عن اتخاذ قرارات كبرى او الخوض في مغامرات غير مضمونة. فلا هي قادرة على الذهاب الى حرب كبيرة وشاملة، ولا هي قادرة على انتاج وانجاز تسويات كبرى. في اختصار، فان سنة 2024 ستكون مليئة بالاحداث والحروب والتوترات، وتبقى سنة مفصلية ولكنها ليست سنة "الحسم". الحروب تتواصل في خلالها ولكنها تبقى "حروب استنزاف". والتسويات الكبرى مجمدة الى ما بعد الانتخابات الاميركية، او بالاحرى الى "ما بعد بايدن".

GT Group

LEBANON
7th floor, GETO building Jdeidet El-Metn, – Sarkis and Bakhos street, Sector 2
P.O.Box: 90750 Beirut – LEBANON
Tel.: + 961 1 87 85 12/3 – Fax: + 961 1 87 85 20
ramoch@getogroup.com

CYPRUS
Kantaras No. 6 Royal Sunset Villas 4531 Mouttagiaka tourist area
P.O.Box: 53475, Limassol – CYPRUS – Post Code: 3303
Tel.: + 357 25 35 12 00/1 – Fax: + 357 25 37 90 94
e-mail: geto@spidernet.com.cy